

وهج المعنى والمنفى

الكتاب : وهج المعنى والمنفى

المؤلف : بدّي ابنو المرابطي

الطبعة الأولى : 2020

عدد الصفحات : 56

القياس : 19 X 13

الإيداع القانوني : 2019MO4419

الترقيم الدولي : 978-9954-705-87-2

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

توزيع:

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب

6، زنقة التيكر

هاتف : +212522810406

فاكس : +212522810407

markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان

الحمراء - شارع المقدسي - بناء بليسي

هاتف : +9611747422

فاكس : +9611744733

سلسلة آفاق أخرى

بديّ ابنو المرابطي

وهج المعنى والمنفى

إلى الراحل الكبير محمد ولد عبيدي



إلى محمد ولد عبيد
إليه صديقاً مؤمناً وشاعراً ومفكراً...

بدي المرابطي

هو الشعب أرضٌ
هي الأرض شعبٌ
هما الشعر ...

محمد ولد عبيدي

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا
أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ

المتنبي

شكر

أودّ أن أقدمّ كلّ شكري وعرفاني بالجميل إلى
الرائعة عائشة محمد ولد عبدي على مساعدتها القيمة
لي في الحصول على بعض الرسائل المنشورة هنا. وما
زلتُ أبحث عن أخرى طال عهدي بها ولعلّها تُنشر
لاحقاً.

1

حين تُراجع الأمة يوماً ذاتها ولو عرضاً ستعترف بذلك وستتألم. في حياته، في شعره، في سرده، في فكره ونقده، في عمله اليومي، والسنوي، والأبدي، يمثل المرحوم الدكتور محمد ولد عبدي أمةً وحده. ظلّت وحدة أبي ذرّ اسماً جامعاً لوحده، وصفاً وجيهاً لفرادته. وكان يعي ذلك ويدركُ كلفته. يفصح عما يجمعه بأبي ذرّ بألم حتى في الاستشهادات التي اعتاد أن يُصدّر بها أعماله. لذلك مثّلتُ أسماء كأبي ذرّ، وولد امسيكة، ومحمود مسومة أكثر الأسماء وروداً في شعره ونصوصه.

قد تقال أشياء كثيرة عن الراحلين كما عن الأحياء. ولكن محمد ولد عبدي رجل يتجسّد فيما يقول هو نفسه:

"كيفَ لاسمِكَ أن يُعدّ؟"

وأنتَ مِمْكَ مَيْسَمُ المنفى ،
مراثي المنكبِ الغربيِّ ،
مَجلى الرَّمَلِ يَضربُهُ محارُّ العمر .
حاوُّكَ حيرةُ الصَّحراءِ ، حاراتُ الصَّفِيحِ ، حكايةُ
البحرِ الأجاجِ .

كَأَنَّ مِمْكَ - يا محمد - ماءٌ من ماتوا بلفحِ الرِّيحِ
في تلكَ الرَّمالِ الشُّعْثِ . " (سيرة")

كَأَنَّ مِمْكَ - يا محمد - ماءٌ من ماتوا بلفحِ الرِّيحِ
في تلكَ الرَّمالِ الشُّعْثِ . " (سيرة")

محمد ولد عبدي هو الاسم العلم لزمان مؤسس
إبداعاً وفكراً، زمان لا يمكن أن يسمى بغير اسمه،
وبما يعنيه اسمه: صبر المؤمن، وحسَّ الشاعر، ورسالة
المفكر.

منذ بداياته يحمل همَّ الحداثة كاستئناف دائم
لتأسيس الأسس، لتأصيل الأصول، لأنسنة الإنسان.
همه أن ينجح الإنسان كمبدأً إبداعياً في أن يتواصل
فعلياً مع إنسانيته، مع فرادته، مع بتوليته الساذجة

والذكية في آن، مع نقاء البراءة ونقاء التجربة تزامنيا، مع الشعيرية البدئية والعالمية في نفس الوقت، أن ينجح الانسان في أن ينفصل عن كل حيوانية، أي عن كل اجترار وعن كل انقياد أو تبعية أو محاكاتية، عن كل انفصامية تبعد الجسد عن الفكر أو الحس عن الإحساس. همّ الكشف الإبداعي والمراجعة الفكرية. مشروعه تأسيس البدايات الصلبة، مفردات ومفاهيم. وأرضيته الكلمة كبداية مطلقة، الكلمة البدء.

2

لم يكن محمد ولد عبدي معنيا بينت السلطان
ولا بينت زعيم التجار. واجبه أن يهدي الشموس أولاً
وأخيراً إلى اللواتي لا يعرفهن أصحابُ القصائد العصماء
واللغة الفخمة. واجبه وقدره معا أن ينحاز للسبايا
وللأرامل، للمضطهدات والمستعبدات:

"أرى بناتٍ قد سُبينَ
وهنَّ يملأنَ الجرارَ من الغديرِ
أرى صبيّاً عُصبتْ عيناهُ
مشدوداً براحلةٍ
تَقَطَّعُ أُمَّهُ حُزْناً عَلَيْهِ
وحينَ شَبَّ عن الدُّموعِ
بَكَى

فَرَدَدَ شَجْوَهُ نَائِيً يُقَاسِمُهُ الْحَنِينَ

ضُحَى

وراءَ قطعِ سَيِّدِهِ الضَّرِيرِ° ("شقاق الطين")

يقول ما عليه أن يقوله شعرا، ويقوله فكراً، ويقوله صمتاً. انحاز للإيمان والكرامة. كتب إلي مرة (23 مايو 2004: نص الرسالة وإجابتي ملحقان بهذا النص): "اخترتُ الصمت، قابضاً على جمر ضميري، رافضاً إغراءات سوق النخاسة، مستنكفاً أن يقرأ ولدي عبادة ذات يوم أنى اشتركتُ في ضيم أو أعنتُ عليه. هكذا أنا في وحدتي، منكفئاً على قلب أضناه الفراق: فراق الأهل (أبوي وأخوي) الذين سافروا إلى العالم الآخر بلا أوب عسى الله أن يتغمدهم برحمته، وفراق الوطن الذي ما عاد للشعراء والصعاليك أمثالي وأمثالك فيه مستقرٌ." ظلَّ يصرُّ أن تستبقي هذه الأرض نخلها وفستقها، شواطئها وتلالها ولكنه ظل يدرك أن المنكب البرزخي مصاب بجيوب الملح وخيمه.

3

محمد ولد عبدي يعرف أن الصحراء أرض الزرقة والحقّ ولكنها أيضا وفي غفلة من الزمن أرضٌ اختطفها "طفح الطين" وحاصرتها السباخ "لحد كان يُقوم فيه الإنسان ذات يوم بمقاس نعله من الملح، تلك المادة التي تفقد الأرض/الأم/ الحياة، خصوبتها وتدفعها إلى التصحر والعقم، وتقضي على كل أمل في الحياة والنماء والتقدم." (كما كتب الدكتور محمد عبد الحي في إضاءته على رائعة عبدي "شقاق الطين").

محمد ولد عبدي بحثَ لهذه الأرض عن أنسنة أولى، عن زمن عذري أول. عن لحظة استهلالية قبل الاغتصاب، تجد فيها الأرض قدرة أولى، وطاقة أولى، ومجدا أول، تجد فيها ما به تؤسس لأفق آخر، ووجهة جديدة، وفضاء جامع:

"كانت قبل طَفْحِ الطِّينِ

مُتَبِّدًا

يلوذُّ بها الذين تعلقوا بالشمس
من ظلِّ الطُّغاةِ ("شقاق الطين").

في لحظةٍ كثيفةٍ أو، بلغة محمد ولد عبدي، في لحظةٍ قنطرةٍ من عمرِ الأرض، تلك الأرض، تتالت الأحداث الموحجة التي ألغت فصولَ الطبيعة وأطوارَ العمر، نقلتنا فجأةً دون مقدمات من الطفولة إلى الشيخوخة. قصة قابيل مع هابيل تكتبُ نفسها في كل شبر. لم تبق أمٌ ولا بنتٌ في جزيرة الرمل ولا في ضفتي النهر ولا في ملتقى البحر والنهر إلا وخبرت الدمع والدم. لم تبق في أرض المنكب وجاراتها أختٌ لم تستنفد ما بقي من دموع الخنساء. لم يبق تمر ولا نبق ولا صمغ، لم يبق نخل ولا سدر، ولا قتاد ولا طلح، لم يبق ما به تستظل الجميلات بعد طول السفر. تتالت الأحداث مؤلمة دامية كأنما كل حلقة منها تريد أن تثبت أن الأمل محاصر في كل معقل حقيقي أو مفترض، أن اللاإنسانية تصرُّ على أن تقتلع من الإنسانية أجمل ما فيها وأعظم ما فيها وأبهى ما فيها.

أن بشاعة العالم تتقدم حثيثا كي تطمر جَماله. وأن تلك
الإرادة الخفية التي تمنحها إنسانية الانسان في مواجهة
حيوانيته، تلك الطاقة الأخلاقية العنيدة في كل رجل
وكل امرأة تزداد معاناة أمام شهوة الدم ورغبة الغدر
المعولمتين.

4

جمعتنا أشياء كثيرة منذ أواسط الثمانينيات. جمعتنا سياقات وظروف متعددة. منها السنوات الجميلة لجمعية غرناطة (اعتقد أن ولد عبدي هو أول من اقترح هذا الاسم) والندوات الأسبوعية وأحيانا اليومية، جلسات الشاي والقراءة، الساعات الطويلة في المراكز الثقافية، أو في أروقة جريدة الشعب حيث كنتُ وكان ينشر مقالاته وإبداعاته بانتظام. بيت أخته وعكوفه الدائم على القراءة والكتابة. في ذلك البيت الكريم أكمل نصوصا غير منشورة أذكر منها فصولا روائية بالإضافة إلى عدد من القصائد والمقالات (أتمنى أن تنجح عائشة، ابنته الرائعة، في العثور على تلك المخطوطات). وفيه حرصَ على أن يُحضّرَ كتابةً برنامج المجلة الثقافية الذي كنتُ أحيانا أشارك فيه (ربما تكون الإذاعة الموريتانية ما تزال تحتفظ بتلك الحلقات). وقد مثلتُ

سلسلة النصوص الابداعية التي نُشرَ سنتي 1986 و1987 في جريدة الشعب تحت عنوان "تراثيل" حدثا ثقافيا مستقلا (كان أحد مشاريعه وبإلحاح دائم مني إعادة نشرها مكتملة في كتاب، وهو للأسف ما لم يتحقق).

تتالت الأحداث واحترقت الساعات محنةً بعد محنة: أظلمت الدنيا خصوصا مع مأساة 89 التي طمرت الثمانينيات وطموحاتها ومشاريعها ودشنت مآتماً آخر عقود القرن العشرين في أرض السيبة والفترة. كشفت حديثا عما تعنيه السيبة الثانية.

أضاعت الثمانينيات ما أضاعت -ولرمال الصحارى قصة طويلة مع الضياع. سافر محمد ولد عبدي للعمل البحثي في المشرق وفي نفس الفترة سافرت للدراسة إلى أوروبا. هكذا مضى آخر فصلٍ من فصول الآمال الكبيرة التي راودتنا في الثمانينيات. مضت أيام ثم مضت عقود ولكن بقي محمد ولد عبدي هو محمد ولد عبدي.

هو كما عرفته أول يوم وآخر يوم: رجل إيمان، رجل عدل وحق. ظلّ وفيا لخياراته الأساسية كما هي حتى النهاية. لم يملّ من الإشراق: "هو الشعب أرض،

هي الأرض شعب، هما الشعر... مختلط بالحجارة".
بقي إنسانا. بقي إنسانا ضروريا لتلك الأرض ولغير
تلك الأرض. إنه رجل هو الإيمان حيث يتجسد الإيمان
في ثلاثة: رجل إبداع، ورجل فكر ورجل تخطيط.
وُلِدَ وعاش وتوفي كريما شامخا لم يهتز ولم يتأرجح.
في باريس أيامه الأخيرة وقد عَرَفَ رأي الأطباء، أدركتُ
من كلامه معي حول أشياء معينة أنه أخذ يودع هذه الدنيا.

كان يقول جملة أحيانا بالفصحى على غير عادته
في أحاديثنا الخاصة. قد عَرَفَ حينها ما لا أعرف مما
به له باح الأطباء. شعرتُ بالقلق وأنا أبحث عن كلمات
تناسب الموقف. وظلَّ يتحدث بهدوء المؤمن الحقيقي
وسكينة العميقة. يشكر الجميع ويذكر الجميع بخير.
كثيرون عرضوا عليه بكرم خدماتهم في باريس، ثم في
تونس. ولكنّه فضل أن يعتذر بلباقة. ظلَّ وفيا لنفسه،
كريم النفس بطبيعته. كانتُ إجابته للجميع أن مؤسسة
عمله "تكفلتُ بنفقات العلاج".

إنه هو ... جسّد ويجسّد محمد ولد عبدي أجمل
ما في تلك الأرض. أعطى حتى آخر لحظة. دون أن

ينتظر شيئاً من أحد ودون أن يقبل شيئاً من أحد. ودون أن يذكره أحد. حتى الذين جئدتهم التفاهات في حقبة ما ضده وجدوا فيه الأخ المعين حين لجأوا إليه. عزائمه أعظم من أن تحاسب أصحاب الحسابات.

5

محمد ولد عبدي رجلٌ على قدر عزائمه التي لا تقبل إلا أن تأتي وتظلّ كما هي. أراد للغة أن تقول ما لم تقبل أن تقوله من قبل. وأن تضيء من لم تكن تراهم. وأن تسمي من لم تكن تعرف لهم أسماء. وأن تصف ما كانت تحسبه العدم في حقل الصفات. كان المجرّب والرائي. يريد الأفكار والصور أن تكون حركة وخلّقا لا استعادة وتكرارا وتبويقا. يريد للغائب أن يحضر.

محمد يُرغم اللغة على أن تستعيد طاقتها وضمائرها ومضمراتها المنفية وأن تتخلى عن حشوها وتمدداتها المخملية.

"مرة لأنني رأيتك"

وأخرى لأنك ستغيين"

هكذا جاء في نسخة قديمة لقصيدة سيكتبها شاعر.
("مخطوطة")

اللغة ارتباط وتواصل وتضافر. مع الذات ومع الآخر.
لذلك يلزم استخدامها لتدمير كل حدود تُواجه هذا
التضافر. وأولها الحدود والفخاخ الذاتية، تلك التي
يمكن أن تخلقها اللغة نفسها مذ عرفت تفككها البابلي.
يلزم إعادة اختراع المفردات لا لتشكيل معجم داخل
المعجم، بل لتكوين معجم يجمع كل المعاجم.

حين نشرَ رائعته "شقاق الطين" كتب إليّ (20
فبراير 2011) بلُغته العذبة المترعة دائما بالمحبة".

" تحية ورجاء

العزیز الشاعر الكبير والمثقف العضوي بدي ابنو

المحترم

أشفاق إليك وإلى أخبارك.

هذا الصباح قرأت بيانك عن أحداث "فضاله" وهو
أمر ليس بالمستغرب عليك إذ أنت دائما منحاز لقيم
الحرية والعدالة، أرجو أن نظل دائما في تواصل وتنسيق.

وفي هذا السياق أبعث إليك آخر نص كتبتة،
وربما سبق لك الاطلاع عليه من خلال بعض المواقع،
لكن رجائي الآن يتمثل في طلبي منك ترجمة هذا النص إلى
الفرنسية، خاصة أنك بحسك الشعري المبدع، ولغتك
الشاعرة المتميزة، ومعرفتك الخاصة بإحالاته المرجعية
وظلاله الدلالية لا شك الأقدر على ترجمته، ورغبتني
في ترجمته نابعة من إحساسي بأن من ينبغي لهم
الاطلاع عليه وتمثله رؤوية ودلالة قد لا يتمكنون من
ذلك في لغته الأصلية مما يحجم رسالته وقاعدته
القرائية.

أدرك تماما مشاغلكم ولكن ليس ثمة من أثق
بقدرته على التلبس برؤية ولغة هذا النص سواكم.

في انتظار ردكم تقبلوا فائق التقدير والاحترام.
اخوكم وصديقكم محمد ولد عبدي".

فأجبتة بعد أن صحبتُ وقتنا مستحقاً "شقاق الطين"

"عزيزي وصديقي محمد،

قرأتُ القصيدة وهي فعلا مؤلمة وكثيفة ورائعة.
أعدتُ قراءتها مرّات ولا شك أنها تستحق أن تُقرأ بما
يتجاوز التشطّي الباطلي...

إنها تخترق أفقية المشهد الألمي الأشلائي من أقصاه
إلى أقصاه، من ملتقى البحرين إلى ملتقى المجابتين،
لتعيد صياغته في تحولاته الأبدية بين تلال القهر وقوافل
الملح ومدائنه.

مؤلمة هي هذه الأرض بسباخها وقوافلها ونخاستها
وصرافتها. مؤلمة "منفى ومجلى".

وكأن قدرها أن تظل "شقاق طين" بل أن تظل
"شقاق الطين". "وأرض" القطيع والضرير".

ظننا أن لن تحور أو صدقنا ما توهمناه فكان أن التلال
لا ترحل عشية إلا لتعود، إلا لتبقى حيث كانت أصيلاً.

رغم زمن الحصار سوف أحاول جهدي إن شاء
الله كما اقترحت.

لك خالص ودي.

بدي"

كان قد كتب إليّ قبل ذلك بسنوات (في الرسالة
الملحقة):

"أنا يا صديقي أدرك أننا وحدنا نحن الشعراء
المحترقين بالأرض والإنسان نؤسس للتاريخ ونعطي
للغد معناه، وأن الذين أقصونا مهما أَرعدوا وأبرقوا
فهم الزبد، تلك سنة الحياة وإلا فمن أعطى للحضارة
معناها وللإنسان قيمته؟ هل الطغاة أم الشعراء؟ هل
الأفاقون أم الفلاسفة؟ هل هم أولئك الذين يعيشون في
وطننا المقصي المقهور أم نحن الذين أورثنا أطفالنا
وقصائدنا الغربة في سبيل بنائه ورسم ملامح غده؟ "

6

قصيدته "شقاق الطين" كانت بمثابة عهد أخير،
إلى كل شبر في هذه الأرض، وإلى كل فتاة وفتى من
أهل هذه الأرض:

"وقد ضاقت علينا هذه الصَّحراءُ

وأتسعت شقوقُ الطِّينِ

أيُّ غدٍ سنُسَلِّمُهُ الذينَ سيولدون غدًا

وقد ناغوا معاً

لعبوا معاً

حلموا معاً

ومعاً ستبقى هذه الصحراءُ منفاهم ومَجْلاهم

فأيُّ خطيئةٍ جاءوا

لِنُلْسِهمُ عباءةَ عارِنا الطِّينِيَّ

نُورِثُهُمْ خَطَايَانَا
وما نَسَجَ الَّذِينَ بَوَّهْمِهِمْ
خاطُوا خُطَاَنَا"

علنا نعيد جميعا تأملها وأن نتوقف حيننا عند
مقطعها الأخير:

"إِذَا يَهِيحُ الْمَوْجُ
لَا جِبِلٌّ يَبْقَى أَحَدًا
وَلَا سَفِينٌ وَلَا مَرَسَى
فَهَلْ غَدْنَا سُنْسِلِمُهُ لِكَفِّ الرِّيحِ
هَلْ أَرْضٌ تُوَحِدُنَا تُفَرِّقُنَا؟
وَهَلْ حَلْمٌ يُعَانِقُنَا يُنَاقِضُنَا؟
لَنَا فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ مُتَّسِعٌ
لَنَا فَقْرٌ يُطَوِّقُنَا
لَنَا جَهْلٌ يُمَزِّقُنَا

لنا قهرٌ يؤرقنا
لماذا كلما اتسعت
تضيق بنا
لماذا كلما اتسعتُ
تضيق بنا؟"

7

"كل نفس ذائقة الموت".

كان يرددها محمد في الصباحات الأولى للطفولة الأولى. "كل نفس ذائقة الموت". لذلك ظلّ هادئاً مؤمناً. رافقته شجاعته حتى اللحظة الأخيرة، رافقه صبره واطمئنانه. رافقه حتى حين أخذ يملي وصيته الأخيرة على ابنته الرائعة عائشة. يخفف ما استطاع بحنانه واطمئنانه عن دموعها.

"حين - أذكرُ - كنتُ استيقُ الفراشَ

واصطلي بالنار قُربَ أبي

أرتل "كلُّ نفسٍ ..."

لم أكنُ أدري أذوقُ فراقَ مَنْ رسمتُ خطايَ

أمطُّ أحزاني على أمي التي كانت تقول إذا يُعَنِّفني أبي:

مهلاً على ولدي، فأَيُّ الله ذوقُ

كان يَسْمُ:

أَيُّهُ ذَوْقٌ، نَعْم

وَالذَّوْقُ يَسْبِقُهُ اللِّسَانُ

- اللهُ يَا أَبَتِ -

صَدَقَتْ "

8

محمد ولد عبيدي ... اخترتَ الشعرَ أو الصمتَ ،
أو بعبارَةَ أصحَّ اخترتَ الشعرَ والصمتَ . وصمَّتْكَ ضد
السكوتِ ونقضٌ له . شِعْرُكَ كما صمَّتْكَ مترعان بالسرِّ
وبالكشف ، مترعان بالرؤيا المبدعة . تساءلتَ حزناً ،
وتساءلتَ صمتاً وشعراً وأنت تبصر من هنالك حيث
بُعدُكَ عن الأرض هو عينه القرب ، هو عينه الشهود
رغم الجراح :

"كيف أبكيك بعد عشر ودمعي

في لساني وناظري بسمعي

كيف والأرض لا تسدّ فضاء

في انخطافي ولا تُسندّ ذرعي ."

تساءلتَ وتساءلتُ معك وبك الأودية الطريفة
والأعوام الفارة من أعمارها والطفولة المنفية من طفولتها .

تساءلتَ وتساءلتُ معكَ وبِكَ الأرضُ المطمورةُ المرميةُ
خلفَ أرضها، المطمورةُ تحتَ سجونِ ولاتةٍ وتيشيتِ
واجريدة:

لماذا كلما اتسعتُ

تضيقُ بنا

لماذا كلما اتسعتُ

تضيقُ بنا؟"

أدركتَ ما يجمعُ الوفاءَ بالوجعِ. خبرتَ الصحراءَ
وتمرستَ بأسرارها فأبصرتَ الآفاقَ كلما اتسعتُ كلما
ازدادتُ معها المعاناة:

"تحفظُ سر الصحراء:

الصحراءُ فضاء القلب،

حين تخطي الأرض،

لعشاقها الأكفان".

كنتَ وما زلتَ تجسّدُ في هذه الأرضِ شيئاً آخر،
وأفقاً آخر، ووجهةً أخرى وأرضاً أخرى.

كنتَ وما زلتَ تجسّدَ فيها الرحيلَ لها، والرحيلَ
بها ولها، والرحيلَ عنها بعيداً إليها. أمّا همّ "وقد
قدروا ألا تفارقهم فالرّاحلون همّ".

أدركتَ معنى المنافي ومأساة الشعر: الحياة بين
الألم والرحيل. أبصرتَ في جسدك وروحك أنّ هذه
الأرض تقتل عشاقها نفيّاً. أو تعشقهم على مذهب ديك
الجن. أو تتركهم للهضاب الشهب أو لثبج البحر "والفتى
الشاطري ركب البحر ثم اختفى وانتهى".

أمثالك ممن يضيئون تتماذى الأرض وذئابها في
نفيهم أو سجنهم أو فصلهم. ولكنهم يُرحمون كما
يُرحم أبو ذر. من فاضل إلى تين يوسف إلى جمال إلى
خديجة إلى حبيب إلى مرتضى والقائمة طويلة. شمسٌ
تَغيبُ وقمرٌ ينطفئُ وعواصف تضرب ورمال تتلو رمالاً
"وذئاب الحي في الحي عوت".

منّ ملتقى البحرين إلى ملتقى المجابتين يبكيك
كُلُّ شبرٍ من هذه الأرض، كُلُّ حصاة، وكلُّ غيمة، كُلُّ
قطرة من الحبر وكلُّ قلم وكل كتاب... يبكيك الشعر
والشر... تبكيك أغاني الغدو ويبكيك تمرّد القناد وكبرياء

النخيل ، يبيك آخر حلم وتبيك آخر ابتسامة. يبيك
كل شيء جميل وكريم بقي في هذه الأرض أو رحل
عنها ... إن عرس الشمس كما سمّيته سيظل يحتفي
بك ما بقي في الكون أفق وما بقي في الوجود شعر.
عرس الشمس ما زال ينتظرك دون ملل ، ما زال ينشد
كتاب الرحيل ويعرف أنك بالشعر وأنت للشعر وأنت
الشعر.

رحم الله محمد ولد عبدي ظلّ وحيدا كأبي ذرّ.

رسائل

«باسم الله الرحمن الرحيم

صديقي العزيز بدي

ها أنت تنفث في نفسي من جديد روح الحرف،
وتحفر بعيدا في الذاكرة لتوقظ بعد خمسة عشر منفي
أحلاماً حَمَلْتَنِي الأَرْضَ أوجاعَ مخاضها، فتحملتها جراحاً
حسبت الزمن أظمرها، والغربة أدملتها والذاكرة استراحت
من وخزها حين الركون إلى مخدة نكود.

ها أنت أيها المتوهج الجميل، المفترد في منفاك
تُنكِي حزني وتفتح القلب على آلام الجهات السّت،
فتعيد أمري كرة أولى وعمري عقوداً أسدلت عليها
المنافي سجوفها وظننتها لن تحور.

متدثراً بالأزرق السحري والأرق المعثق

في أقاصي الليل

في زاوية قصوى

تغالب ما تبقى منك في قدح المنافي

نازفا بالحزن

تفتح سيرة آليت تغلقها

وظن الشعر أطمرها بثلج الكامل المنقوص.

ها أنت أيها المتلفع بصلواتك وآهاتك تثبت لي
أن أحلاماً غرسناها ذات جمعية وسقيناها معاً بقصائدنا
المنزهة عن النمطي المكرر والقبلي المجتر والراضخ
الخنوع ما زالت وجعاً يتردد في قلوبنا رغم النفي
ورغم التشريد، وكما تقول:

إنما أمرنا وجع

يقتفي وجعا طالعا

والجراح التي نزت والجوى

قد أرانا الرحيل الفرى هنا

فزعا.

ها أنت يا شبيهي في الاختلاف ويا صداي المحكي ،
تحرضني على البكاء في زمن حسبت الدمع جف والأرض
غار ماؤها، وصوحت جميع الأصوات فلا تسمع همساً إلا
تمجيداً لسلطانٍ أو تأليهاً لشیطان.

ها أنت، أنت كما اخترتك لنفسي واصطنعتك
لها شاعراً متفرداً يعطي للانتماء معناه وللمعنى طاقته
وللوطن لغته وللغة سحرها ولي ما أردت أن أكون:

تائها في مهب الكناية

مزملاً بالرمال / الرحيل

لحارة حيرة حرفي وجوم

أروض فيه انتمائي إلى الأرض

أركض فيه إلى ثنيات انتسابي

فما حضرت ناقتي نقطة

إلا تجلى حضور غيابي.

فمن أين أبدأ هذا البوح، وأنا الذي اخترت بملء
غربتي منذ تكالب علي المرجفون في تلك الرمال

– مما لم أبح به من قبل – أن اعتزلهم وما يعبدون،
بعدهما رتلت فيهم ردحاً وأنذرتهم يوم الحسرة ولكن
هيهات.

ناديت حتى غبت عن شفتي

وتشاكس الإيقاع والنبيرُ

ورضيت أن أبقى يقلبني

فوق القصيد لأجلك الجمرُ

خمس عشرة سنة وأنا ألتحف حزني، وأدفع الثمن
باهظاً من قوتي الأسيرة في ضعفي الحائر، أترقب في
صمت دورة الزمن، عسى يتعثر حظ الظالمين أو يولد
من رحم الأرض نشءٌ جديد.

ذلك أني يا صديقي لطول ما شربت غربتي ولطول ما
استنوق المبتلون ولكثرة ما تساقط في جبال السلطان
من كنت ذات يوم أظنهم يقاسمونني الغد، كدت
أشكّ في أي فجر يطلع من تلك الأرض البوار، بل
الأنكى من ذلك والأحزّ في النفس أن السلطة سلّطت
علي أكثر من مرة أولئك "الصحب" الساقطين سماسرة

يعدون "بمناصب عليا" في نظرهم الأعمش قصد
تنميطي وتسيحي شاعراً باسم وليهم وهيهات.

فأنا رغم تلك النظرة الحزينة ما أزال أراهن على
الشعر، عليك، وعلى أمثالك، وعلى الذين يعيشون
اللحظة في تلك الرمال صراعاً بين رغبة الضمير في
الانعتاق وقيود الواقع الحرون.

اخترت الصمت، قابضا على جمر ضميري، رافضاً
إغراءات سوق النخاسة، مستنكفاً أن يقرأ ولدي عبادة
ذات يوم أنى اشتركت في ضيم أو أعنت عليه.

هكذا أنا في وحدتي، منكفئاً على قلب أضناه
الفراق: فراق الأهل (أبوي وأخوي) الذين سافروا إلى
العالم الآخر بلا أوب عسى الله أن يتغمدهم برحمته،
وفراق الوطن الذي ما عاد للشعراء والصعاليك أمثالي
وأمثالك فيه مستقرٌ:

كأن الزمان الذي خاطنا

ناء بالأين

واختار منفاه فينا

قرايين مفعمة بالندور
كأنا ولدنا لذرع الخطايا
وما قالت الأرض في سرها للبدور

ها أنا أكاشفك، فاحفظ عني، أني قررت الدخول
معك في مراهنه فضح السيبة والسدنة والشياطين،
فاقبل الرهان، ولا يقعدنك عن صحبتي سلطان ولا
شيطان، كما حدث مرة لصديق لي رام الصحبة فانبت،
وحاشاك مثله.

أنا حين أصمت فعن حكمة وحين أنطق فلحكمة،
وأنت كما اخترتك لنفسي أهلا للصحبة، فكن كما أردتك،
وأعط المرهنة حقها، ولتعلم أني أثنم جهدك في الرّفص
وأعول عليك في إخراجي من وحدتي التي أتلذذ بها،
فأنا الآن أعيش في حضرة عليّة في مقام التلوين، وهو
مقام يحسبه المرجفون راية بيضاء وهيئات، إن هو إلا
احتراق فسفوري يدفع بالرفض والشعر صوب تخوم لا
مطروقة.

كم ظنت الكلمات كاذبةً
أنْ قد سبتني فانتفى الأمرُ
وطلعت من برك الكلام ضحىً
تاجي القصيدُ وقامتني النصرُ

أنا يا صديقي أدرك أننا وحدنا نحن الشعراء
المحترقين بالأرض والإنسان نؤسس للتاريخ ونعطي
للغد معناه، وأن الذين أقصونا مهما أَرعدوا وأبرقوا
فهم الزبد، تلك سنة الحياة وإلا فمن أعطى للحضارة
معناها وللإنسان قيمته؟ هل الطغاة أم الشعراء؟ هل
الأفاقون أم الفلاسفة؟ هل هم أولئك الذين يعيشون
في وطننا المقصي المقهور أم نحن الذين أورثنا أطفالنا
وقصائدنا الغربية في سبيل بنائه ورسم ملامح غده؟

فرق هو الفرق

قفر مساحتها العتبه

بين أرض السوى والرؤى

اخط يا سالك الصعلكه

إنك المفرد الجمع
أنت الترقى إلى المرحله
اخط قدامك النور
قدامك السر
قدامك الوطن: الكلمه.

نعم في حضرتنا الشعرية يتماها الوطن والكلمة،
لأن كليهما التزام بما به كل منهما يكون: الوطن
بالعشق والكلمة بالشعر، وهما معا لا يتحققان إلا
بقربان باهظ، هو الغربة التي نشتر منها غسل الشعر
وأحزاننا التي نستضيء بها في ليل المعنى وأنفاق
المنافي.

هكذا أنا منذ خمس عشرة سنة، ألتف حول
شرفتي، أنسج وطننا للشعر وشعراً للطن، وكلما غزلت
خيطا نقضته الأحزان.

من يطلب في المنفى وطننا للشعر
وفي الشعر الوطن المنفى

ستفيض جهات الحرف عليه
وتطرده المدن "الفضلى"
فهل تستطيع - يا صديقي - في مراسلاتنا هذه -
على أحزاني صبرا؟
أحسبك بها زعيما لذا:
صب لي قبل انتهائي ألما آخر
ضاعف ألمي
حتى يخف
والسلام عليك يوم عرفتك ويوم منفاك ويوم نبني
معا وطنا.

كتبه الفقير إلى الله المتوكل عليه "أبو عبادة محمد
ولد عبدي"

لأربع ليال خلين من ربيع الآخر 1425هـ،
الموافق 25-5-2004م».

«أخي العزيز محمد،

جاءت كلمتك كما توقّعتُها، عذبة، مفعمة بصفاتك. وسأستعير منك عبارة "الطيب الجميل" التي أطلقتها لطفًا منك على زيارتي لأصف بها لقاءنا معا مادامت الفرصة على ندرتها لم تمنحنا إلا بضع ساعات للتواصل بعد فراق دام خمس عشرة سنة. هي لحظات الزمن المحدود استعاضت عن الكثرة بالثخونة.

كانت الأسابيع الماضية أيام ترحال وشد رحال. وآمل أن تمنحني الفرص بعض نفيسها كي أشكرك بالغ الشكر على استقبالك البديع لي الذي شرفنتني به في بيتك بمدينة أبي ظبي الجميلة. كانت جلسة "إمتاع ومؤانسة" سمحت لي أن أدرك من خلالها أنك ما زلت وفيما لما به أصلا عرفتك ولما له ردحا صاحبك. ذقتُ فيها طعم جلسات شائنا وأدركتُ أن جيماته المعجمة لم تهمل.

سمعتُ في رغبة الكاسات المريئة أحاديثنا الأولى،
وقرأتُ فيها "الشعب الأرض" و"الأرض الشعب" حيث
"الشعر مختلط بالحجارة". أيام الإرهاصات الثمانية
حين كانت "غرناطة" وعدا نتقاسمه وكانت الفضاءات
الوليدة لبنات نصوغها ونحسبها قواما لمداميك حصينة
ولصروح مشيدة. كنا نخشى أن تهوى صخرتنا دون
الأمَد وأن يشبه سدنا سد المسعدي. نتهيب وندرك
بغموض أن أمرا قد قضي.

نعم كنا على أبواب السبية الثانية:

"على باسقات النخيل التي لفها كلُّ جذع كريم
بقي،

على آخر الصهوات التي ما يزال لها إلى الكبرياء
سبيل،

على الطرقات القصية،

في الزمن الدم،

رغم أنوف البلية،

ترحل عن أرضها الأرض."

هل تذكر أحد شايات أواخر الثمانينات، وقد حملتُ جيماته قلق "النحت" و"نحت النحت"؟

أذكر لحظة أخرى مترعة بمعاني الصلة والتواصل، مترعة بالارتباط التمايز، كنتَ تعقب على إحدى قصائدي التي دعوتني إلى قراءتها في برنامج "المجلة الثقافية" يوم كنتَ تعدّها وكنتُ أعقب على تعقيبك. أيامها كنتُ في صحيفة "الشعب" ترتل "التراتيل" التي بها استنجدت سماء كادت أن تنسى أرضها واستنهضت أرضاً كادت عزيمتها أن تنهد وأن تلتحف الخور كفناً أبدياً. ومع نُعيمة تناشد الأخ:

"أخي، قد تم ما لو لم نشأ نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاء، ولو أردنا نحن ما عمّا
فلا تندب، فأذن الغير لا تُصغي لشكوانا".

وتداعت السنين العجاف.

وأسعفك حدسُ المبدع فأدركتَ بعيني زرقاء
اليمامة أن العام الذي فيه يغاث الناس لم يزل عنهم

مبتعدا ما لم يغيروا ما بأنفسهم ففضلت القصية ولو
شقت على الدنية ولو أغرت، فضلت الرحيل ولو استعصى
على السراب ولو لمع:

"هنا في الأقصي،

وفي الأزمنة - التيه،

لم يعد الفستق لي،

ولم يعد النخل لي،

ولم يعد الشاي يجمع جمعا،

ولا الذكريات الجميلة،

لم يبق غير الرحيل،

ولم يبق بعد الرحيل سواه."

ودعّتك أيامها أواخر 89 على ما أذكر وأنا أحسب
أني ألقاك بعد أشهر مكرما بين ظهرانينا فإذا العجاف
كلمة تؤمّ كلاما وإذا كل كثير يسمي سبعا. ذلك بعض
السر أو أوله. أكثر من خمس عشرة سنة توات وتالت
والناس تنتظر العام فيما التيه يعصف بها عصفاً بل

يسحلها سحلا. خمس عشرة سنة والصروف تقذف بنا
إلى الأقصي:

"كلما أتمنى التصابي،
أعدّ الأقصي التي بينها أتهدى،
وأذكر نفسي:
رحيلي قعوداً إلى
الفجر.
لا فجر.
أذكر نفسي:
عزائي الوحيد طريداً،
كمثلي، يردد، حيث
انتهى وانتهى، قصتي."

خمس عشرة سنة وما ازداد أنين "كدية الجل"
ونشيج "هضبتي إج" إلا احتدما لمن شاء أن يصغي
ويسمع.

أعرف أنك عدتَ من بعد لبضعة أسابيع. كنتُ حينها في "المنفى الباريسي" أرتل صلواته. ولكن المرحومة خديجة حدثتني عن الأمسيات الشعرية التي أقيمت احتفاءً بك. وأحسب أنك شعرتَ حينها بما شعر به كل من قدر له من بيننا أن يزور "الأرض السائبة" في سببها الثانية، أحسبكَ أحسستَ بغربة تأخذ معها دلالاتُ الرحيل والشرخ كاملَ متّسّعها، غربةٌ لها من عودة "أهل الكهف" معنى ومن رحلة الفتى الشاطري معان. وهي إلى ذلك عودة الباحث عن حضن ليلاه تلك التي وئدتُ ليلًا أو بيعتُ نهارًا:

"فلا تطلب إذا ما عدتَ للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحبًا نناجيهم
سوى أشباح موتانا!"
"أخي، من نحن لا أهل ولا وطن ولا جارُ
إذا نمنا، إذا قمنا، رِدانا الخزي والعار
لقد خُمّت بنا الدنيا كما خمت بموتانا"

نعم لقد خمتُ بنا الدنيا ورحلت الأرض عن أرضها
غير أنها تبقى لله يورثها من يشاء.

أخي محمد ،
"هي الأرض شعب
هو الشعب أرض
هما الشعر مختلط بالحجارة."

ألف تحية وللحديث بقية.

باريس 2 يونيو 2004

بدي ابنو»

«أبو ظبي 3 أكتوبر 2013

العزیز القریب من القلب الشاعر المبدع والمثقف العضوي

د. بدي ابنو المحترم

تحية طيبة

مبدع دائما، عميق التفكير، فذ التخيل، استشرافي
الرؤية. نصك "قصيدة الزمن والدم"، نص يغري بالقراءة
وإعادة القراءة، ستكون لي معه وقفة خاصة إن شاء الله.

ولقد كان العمل الأكاديمي الذي قام به الصديق
الناقد د. محمد عبد الحي مهما وضروريا، وخصوصا
للقارئ الموريتاني الذي أصبح محدود الأفق والثقافة.

لك المحبة والتقدير

وعليك عتب من انقطاعك عني،

وإذا ذهب العتاب فليس ود،

ويبقى الود ما بقي العتاب.

تحياتي

محمد»

«بروكسيل 13 أكتوبر 2013

الفاضل الدكتور الشاعر الكبير محمد، عزيزي الرائع،
شكرا على الرسالة النبيلة. فعلا أنا مقصّر بحقك
تقصيرا. وعليّ إن أنسأ الله في العمر - كما كان يقول
ابن رشد - أن أتدارك بعض ذلك.

فقد تناولت الأشهر بل تدافعت السنين دون أن
نفي بحق ما يجمعنا وهو كثير.

أقرأ لك كلّ حرف وجدتُ إليه سبيلا. فما زلتَ
كما كنتَ مشرقا في أوج الإبداع، تفتح أبواب الشعر
والفكر والفرادة بابا تلو الآخر، وتبنيها صرحا صرحا،
منذ "التراتيل" إلى "شقاق الطين".

لك عظيم التقدير وخالص الود والمحبة،

بدي»